جماعة الإحياء

أولا : الشعراء المحافظون .

انتهت الحياة الأدبية والفكرية للأمة العربية منذ احتلال بغداد(٦٥٦هـ)،(١٢٥٨م) وعلى مدى أكثر من خمسة قرون إلى سبات طويل ، كاد يمزق أوصالها ويفقدها شخصيتها ، إلا إن لغتها ظلت تحتفظ بعناصر القوة والأصالة بفضل القران الكريم ، وظل الإسلام يمثل الآصرة القوية بين شعوب الأمم الإسلامية .

إن حال الأمة لم يستمر على وفق هذا الشكل من الرجع والتردي ، فقد كانت هناك مجموعة من الأحداث السياسية والعوامل الفكرية والأسباب العلمية بدأت تظهر وتحرك العرب باتجاه نهضة فكرية وأدبية وسياسية . وكانت من تلك العوامل التي أسهمت بالنهضة حملة نابليون والطباعة والصحافة والترجمة والتعليم والبعثات العلمية ، ويمكن أن تكون بدايات النهضة في منتصف القرن التاسع عشر . حين كانت البلاد العربية تعيش تحت الاحتلال الأجنبي وشاعت فيها مظاهر التخلف، والقيم والعادات العشائرية السلبية ، وكانت حالة الثقافة والفكر متراجعة ، والذي يهمنا من هذا هو حال الشعر والشاعر الذي فقد شخصيته وكان تابعاً ذليلاً للسلطان أو الحاكم ويعيش محنة البؤس والحرمان والشقاء،وهو بذلك فقد شخصيته وفقد شعره وكان فاقداً لعنصر الصدق في تجربته، وكذلك لم يكن ممتلكاً للأدوات الشعرية والثقافية والمعرفة التي تجعله قادراً على تقديم نتاج شعري مقبول .

استمر هذا الأمر والشاعر يسلك الدروب الملتوية الضيقة ويقدم شعراً فاقداً للروح العربية وغدا جسماً يخلوا من الحياة صانعاً متكلفاً ، حتى ظهرت مجموعة من الشعراء تحاول النهوض بالشعر ولكن في بط ء شديد ولم تكن تجربتهم تحمل الجرأة والقدرة على تجاوز مرحلة التراجع والتخلف حتى ظهر الشاعر محمود سامي البارودي الذي انتشل الشعر من واقعه المتخلف ونهض إلى ما يسمو بشأنه ووصله

بالجذور البعيدة التي حققت ما كان يصبوا إليه من عظمة ويتوق إلى الإبداع في الفن الشعري .

محمود سامي البارودي (١٨٣٩ - ١٩٠٤م)

في سنة ١٨٣٩ ولد محمود سامي البارودي من أسرةٍ شركسية كان لها دورٌ كبيرٌ في تاريخ مصر وسبق لها أن ملكت مصر لقرن ونصف وقرن وكان هذا عاملاً من عوامل بحث البارودي عن المجد والشهرة مفتخراً بإبائه وأجداده قائلاً :

من النفر الغر الذين سيوفهم لها في حواشي كل داجية فخر.

إذا استل منهم سيد غرب سيفه تفزعت الأفلاك والتفت الدهر .

وكانت أمه تثير في نفسه هذه المشاعر لتجعل منه رجلاً يناضل الحياة بهمة وقوة ، وكانت تحدثه عن عظمة أبيه وبطولة جده وشهرة خاله إبراهيم في ميدان نظم الشعر ، وكان البارودي يفخر به وبشاعريته . فيقول :

أنا في الشعر عريــق لــم ارثه عن كـلالة .

كـان إبراهيــم خالــي فيــه مشهور المقالة .

كان يطمح لدخول المدرسة الحربية إلا أن الخديوي سعيد قام بإغلاق المعاهد العسكرية فاتجه البارودي إلى القراءة العميقة للأدب العربي وأفاد كثيرا من مكتبة خاله إبراهيم ، ثم سافر إلى الأستانة وهناك اكتسب الشاعر خبرة بالحياة وشؤون الناس وفي الثقافة والفكر . وعندما ذاع صيته ووصلت شهرته إلى الخديوي إسماعيل الذي وثق به وعينه قائدا للكتيبة من فرسان حرسه عام ١٨٦٣ م . ثم ارتقى إلى مرتبة (ياور) الخديوي وليكون قريباً منه في حياته.ويعيش معه حياة الملوك قضى البارودي ثماني سنوات كان فيها يراقب الحياة المصرية ويكشف إبعادها السياسية والاجتماعية واكتشف إن الذين يحكمون مصر يقيدونها بالسلاسل ويتآمرون عليها وأبى أن يغض الطرف عنه ، فكان له الموقف الوطني المطلوب وهو موقف حال أن يكون بينه وبين أن يكون شاعراً للبلاط ، وعندما زادت أموال البلاد سوءاً ثارت نفس الشاعر وأطلق صرخته المدوية ليفضح بها الفساد والظلم. ويكشف ظلمهم ويؤلب الناس عليهم فيقول :

قامت به من رجال السوء طائفة أوهى على النفس من بؤس على شكل .

من كل وغد يكاد الدست يدفعـه بغضــاً ويلفظــه الــديوان من ملـــل

ذلت بهم مصر بعد العز واضطربت قـواعــد الملـك حتــى ظل فــي خلـل .

وعندما اضطربت أمور البلاد اضطراباً شديداً وجاء الخديوي توفيق بدلاً من أبيه إسماعيل وتوالى سقوط الوزارات وينتهي المطاف بتقلب البارودي بين وزارتي الأوقاف والحربية ، ثم يثور الجيش في آخر الأمر بقيادة احمد عرابي ومشاركة البارودي مع مجموعة من الضباط الوطنيين . غير إن الأمور تنتهي بفشل الثورة واستسلام الثوار ثم نفيهم إلى خارج البلاد ، وتكون جزيرة سرنديب مكاناً لنفي الشاعر ليقضي بها سبعة عشر عاما أو يزيد. وما تكاد الباخرة الانكليزية تبحر مقلة الشاعر وبعض صحبه إلى جزيرة سرنديب حتى ترتفع عواطف الشاعر لتتحول إلى مشهد حزين ينتهي إلى تجربة صادقة تجسدها قصيدته النونية التي يبدأها بقوله :

ولما وقفنـا للـوداع وأسبـلت مدامعنـا فوق الترائب كالمزن

أهبت بصبري أن يعود فعزني ونـاديت حلمي أن يثوب فلم يغن

أن تجربة الغربة والنفي حققت للشاعر تجربة جديدة وهو البعد عن أهله وأرضه وأولاده إذ اضطربت أحوال الشاعر وعانى عذاباً نفسياً انتهى إلى إصابته بالعديد من الأمراض ، ثم اعتزل عن الناس مكتفياً بخادمه فقط . يضاف إلى هذا ما كان يصله من أخبار سيئة عن أهله وأصحابه . فقد تخطف الموت زوجته عام ١٨٨٧ بالقاهرة وينزل الخبر على الشاعر نزول الصاعقة فينشد في الرثاء قائلاً :

أيـد المنون قـدحت أي زنـاد وأطـرت أيـة شعلـة بفـؤادي

أوهنت عزمي وهو حملة فيلق وحطمت عودي وهو رمح طراد.

طفحت مرثيته لزوجته بعواطف اللوعة حتى قال عنها احد النقاد ((ومطولة البارودي التي يبكي فيها زوجته الحبيبة ويندبها على البعد ، من نادر الشعر العربي فقليلاً ما رثى الشعراء العرب زوجاتهم ، وذلك لان الرثاء لم يكن مألوفاً في البيئة العربية ، والحزن في القصيدة حزن عميق جدير بأن يكون نموذجاً في الشعر العربي للعاطفة بين الزوج والزوجة)) .

<u>تعريفه للشعر :</u> كان للبارودي تعريفا خاصا للشعر ووظيفته ، فقد وضع البارودي في مقدمة ديوانه تعريفا للشعر ووظيفته فقال: ((إن الشعر لمعة خيالية يتألق وميضها في سماوة الفكر ، فتنبعث أشعتها إلى صحيفة القلب ، فتفيض بالأنهار نورا يتصل بأسلة اللسان ، فينفث بألوان من الحكمة ، ينبلج بها الحالك ، ويهتدي بدليلها السالك ، وخير الألفاظ ما ائتلفت ألفاظه واختلفت معانيه ، وكان قريب المأخذ بعيد المرمى ، سليما من وصمة التكلف ، بريئا من عشوة التعسف ، فهذه صنعة الشعر الجيد)) .

يتضح من هذا التعريف ان الشعر في نظر البارودي ليس وليد التكلف والصنعة ، وإنما هو وليد الطبع ، وقد عبر عن ذلك حيث قال:

أقول بطبع لست أحتاج بعده إلى المنهل المطروق والمنهج الوعر.

وهذا يؤكد ان شعر البارودي لم يعد كلفا وجيلا ولا ابيات بديعية ولا أبياتا تقرأ طردا وعكسا ولا أرقاما حسابية تجمع تاريخا معينا .

موضوعاتـــه

نظم البارودي في معظم الأغراض التقليدية القديمة تحقيقاً لبعث الشعر القديم بعيداً عن حياته المعاصرة وبيئتها الجديدة . وكما عاش أجواء القدماء في أوصافهم وإطلالهم ونسيبهم فقد حاكا معانيهم ، بل انه ليضرب في متاهات نجد ورباها ووديانها بقوله :

اشتـــاق نجـــدا وساكنيـــه وأيـــن منـــي الغداة نجـــد .

وحين يصف المرأة يقول :

كالورد خـداً ، والبنفسج طرة والغصن قدا والغزالـــة ملفتـــاً

ويقول في الغزل :

طربت وعادتني المخيلة والسكر وأصبحت لا يلوي بشيمتي .

وهو معنى استقاه من أبي فراس ، وفي الفخر بقومه يقول :

لـــهـــم عمد مرفوعـــة ومعاقـــل وألـــويـــة حمـــر وأفنيـــة .

وهو معنى أخذه من عمرو بن كلثوم ، وفي الحكمة يقول:

ومـــا هذه الأيـــام إلا منـــازل يحل بها سفر ويتركها سفر

ويمضي أكثر في مطابقة معاني القدماء فيقول :

علـيَّ طلاب العـز من مستقـره ولا ذنب لي إن عارضتني المقاصد .

وهي صورة تنطبق على قول أبي فراس لفظاً ومعنى حين يقول :

علـيَّ طـلاب العلم من مستقره ولا ذنب لي إن جارتنـــي المطالـــب .

وهو ما حد بعض الدارسين إلى اتهامه بالسرقة . وقد دافع حسين هيكل عن هذه التهمة قائلاً ((وهذا التطابق البين على قلته ، ... ، لم يكن إلا ترديداً لما قالوا لأنه لم تكن له فلسفة خاصة ، ولأنه كان يبعث معاني الأقدمين كما كان يبعث لغتهم ، وأنا لا اسيغ تسمية هذا البعث سرقة والشعراء والكتاب في كل امة وعصر يتداولون المعاني بينهم))

ومن أكثر الموضوعات التقليدية تأثيرا في شعر البارودي الرثاء الذي كتب فيه أجمل القصائد ، وهو يرثي أحبته ومنها قصيدة في رثاء زوجته التي تعد من نوادر الشعر العربي التي يقول فيها:

لا لوعتي تدع الفؤاد ولا يدي تقوى على رد الحبيب الغـادي .

يا دهر فيم فجعتنـي بحليـلـة كانت خلاصة عدتي وعتـادي .

إن كنت لم ترحم ضناي لبعدها أفمـا رحمت من الأسـى أولادي .

أفـردتهن فلـم ينمـن توجعـا قرحى العيون رواجف الأكبـاد .

القين در عقودهن وضعن من در الـدموع قلائـد الاجيـاد.

لقد رسم البارودي مرثيته لزوجته صورة لمأساة بناته ، وصاغ صورته بحيوية الفن الكلاسيكي ، وقد اتسمت بصدق التجربة الشعورية ، ومما زاد هذه المراثي صدقاً وحقق لها واقعية أنها نظمت في المنفى ، وعد الناقد عمر الدسوقي في هذه القصيدة ((من عيون قصائد الرثاء وهي تدل على الوفاء والمحبة وعلى فرط حساسية)) .

أما فخره فانه لم يعالجه لداعي التقليد فحسب ، بل لدواع تتعلق بشخصه الطموحة وطبيعته القوية إضافة الى قراءته لشعر الحماسة وتأثره به . وهذا ما جعل الناقد محمد حسين هيكل أن يحكم على شعر الفخر والحماسة ووصف المعارك عند البارودي بالأصالة . وحملت قصائد الفخر معاني الإباء والشمم والاعتزاز بالنسب ، والفخر بالقوة ، والتغني بالشجاعة والإشادة بالمواقف الصعبة والطموحات البعيدة ، وجسدت تجاربه الواقعية ومنها تحريضه أبناء وطنه على رد الظلم فيقول :

أبـى الـدهر إلا أن يسود وضيعـه ويملـك اعناق المطـالـب وغـده

إذا المرء لم يدفع يد الجور أن سطت عليه فـلا يأسف إذا ضاع مجـده

علام يعيش المـرء في الدهر خامـلا أيفـرح في الـدنيـا بيـوم يعـده

وحسب الفتى مجدا إذا طالب العلا بما كان أوصـــاه أبـــوه وجـــده .

اصد عن المرمى القريب ترفعـــا واطلـــب امـــرا يعجز الطير بعده.

وكان البارودي رائداً في الشعر السياسي وكان ناقداً اجتماعياً وثائرا وطنياً ومصلحاً اجتماعياً صريحاً حاد المشاعر ، يحث أبناء بلده على رفض الذل والهوان وردع الظلم والسكوت عليه فيقول :

وكيـــف تـــرون الذول َدار إقـــامـــة وذلك فضل الله في الأرض واسع

.

فكونوا حصيداً خامدين أو انزعوا إلى الحرب حتى يدفع الضيم دافـع.

فلـــم ادر أن الله صـــور قبلـــكم تماثيـــل لـــم يخلـــق لهن مسامـع .

وفي موضوع الغربة والحنين اتفق دارسوا شعر البارودي على أن موضوع الحنين تمثل لديه أروع ما تناولته ريشة هذا الشاعر من صدق إحساس وحرارة عواطف لأنه استمد مادة تجاربه مما كان يعانيه ويكابده فيقول :

ردوا علي الصبا من عصري الخالي وهل يعود ســواد الـّلمة البالي

ماض من العيش ما لاحت خمائله في صفحة الفكر الا هاج بلبالي

يـــا غاضبين علينا هل إلى عـــدة بالوصل يوم أناغي فيه إقبالـــي

غبتـــم فاظلم يومي بعد فرقكـــم وساء صنع الليالي بعد إجمالي

أما غزل البارودي وخمرياته فقد أثارا خلافاً بين الدارسين عن حقيقته وموقفه منهما .بعض النقاد ومنهم محمد حسين هيكل استبعد وقوع البارودي في الحب ، واستنكر صراحته فيه وربما أراد بذلك أن ينزه الوزير القائد عن عبث الفتيان ، أما شوقي ضيف فحكم على حب البارودي بأنه ((غرام حقيقي كابده مع بعض الفاتنات وكان ينفطر له قلبه أسى وحزنا وسالت دموعه فيه مدرارا لما كان يتخلله من اليأس اللاذع والقنوط)) . ونحن لا نشك في صدق حب البارودي وان السنوات التي قضاها الشاعر في بلاط الخديوي إسماعيل هي التي هيأت له ظروف ذلك الحب وهو يجهر به أحياناً فيقول :

يلومون أشواقي كأني ابتدعها ولو علموا لاموا الظباء الجواريا

وهل يكتم المرء الهوى وهو شاعر وتبنى على إعقابهـن القـوافيـا.

وفي الخمر كان البارودي صريحاً في وصفه لها ولا يخامرنا الشك إن الشاعر قد اقترف إثم الخمرة وراح يتغنى بالخمرة واثارها في العقول والأحاسيس وأوصافها و ألوانها وجدتها وعتقها ، غناء خبير مارس الشراب حتى عرف أسرار التجربة ضمن عاطفة تفيض قوة وحيوية . ومن قصائده عن الخمرة :

ادر ألكـــاس يا نـــديـم وهـــات واسقنيهـــا على جبين الغـداة

شاق سمعي الفضاء في رونق الفجر وسجع الطيـور في العذبـــات

فهي مرعى الهوى ومغنى التصابـــي ومـــراح المنى ومسرى الحياة .

مفهـــوم الـــريـــادة :

لقد حققت ريادة البارودي للشعر العربي الحديث مجده الأدبي لما امتلك من شاعرية وملكات أدبية وإمكانات فنية استطاع أن يعيد للشعر العربي أصالته وعمقه ونقاءه.

إن مفهوم الريادة لا يعني تحقيق التجديد والخلق والابتكار في المعاني والأساليب واللغة والموضوعات وغيرها . وإنما يعني بعث الشعر العربي إلى ما يصله بشعرنا القديم ، من روعة أسلوب ورصانة لغة وجزالة لفظ ، وصحة تركيب ومتانة عبارة وما ينتج عن هذا كله من بعد عن الابتذال في الموضوعات والإسفاف في الأفكار والضعف في المعاني ، وكلف بالبديع وأثقاله .

إن الشاعر في عهد البارودي لم يحقق شيئا في المفهوم أعلاه ، وإنما هبط الشعر إلى ما يحيله ألفاظاً مرصوفة وعبارات ركيكة حتى جاء البارودي وسما بالشعر وبعث القصيدة بعثاً جديداً ويحقق لها نوعا من الواقعية التي تحمل الصدق الفني والشعوري ليعيد الشعر إلى سيرته الأولى عند شعراء الجاهلية والإسلام .

هناك مجموعة من العناصر هيأت له هذا المجد الريادي في مقدمتها عنصر الثقافة التي توزعت بين العربية التي شغف قراءة وحفظاً وبما أفاد من الثقافة الشركسية والفارسية التي نظم فيها شعرا وكتب نثرا .

والأمر الآخر هو جنسه الشركسي الذي اظهر طابعه في شعره واظهر اعتداده بنفسه وإعجابا وفخرا بنسبه وهو الذي دفعه بان يسمو إلى الطموح ويعيد بذلك أمجاد إبائه وأجداده . والأمر الآخر هو مواهبه الخاصة من ذكاء وقدرات وإمكانات قلما توفرت لدى غيره هي التي هيأت له استيعاب ما يقرا ويحفظ ، وبوات له المناصب العالية في الحكم ، وكان للبيئة المصرية الأثر الواضح في هذه الريادة وهي العنصر

الذي أمده بمادة تجاربه وصوره الواقعية الناضجة من سنوات حياته الأولى إلى حياته في قصر الخديوي ثم مرحلة النفي والغربة والعودة وما فيها من أحداث سياسية وصور اجتماعية . هذه العناصر وغيرها هي التي مكنت البارودي وشعره لان يعيد المجد الأدبي بما حقق له مكان الصدارة والريادة الأدبية فكان دون منازع رائدا للشعر العربي الحديث .

ثانيا : الشعراء المعتدلون : سلك الاتجاه الكلاسيكي في الشعر العربي الحديث اتجاهين رئيسين :

الاول : اتجاه يتخذ من شعرنا العربي القديم مقياسا يحتذيه في الاغراض والمعاني والاساليب والصور واللغة ، ولكنه لا يلغي شخصيته ، ولا يبتعد عن بيئته وعصره ، واما هذا الاتجاه محمود سامي البارودي ، الذي تاثر بالشعر في ازهى عصوره عند ابي نؤاس ، والبحتري ، وابي تمام ، والمتنبي .

الاتجاه الثاني : الكلاسيكية الجديدة : ويقف في مقدمتهم احمد شوقي وحافظ ابراهيم واحمد محرم ، والرصافي ، والزهاوي ، والجواهري ، وقد حاول هذا الفريق ان يتطور بالشعر في رفق واتئاد .

احمد شوقي

أعجب الشباب الناشئ في تلك المرحلة بدور (البارودي) النهضوي، وعلى رأسهم (احمد شوقي وحافظ إبراهيم، والرصافي) وغيرهم من الشعراء الذين اضطلعوا بهذه النهضة التي أشعلها (البارودي) وقد ظهرت مدرستهم باسم مدرسة المحافظين، التي تمثل انحيازاً تاماً إلى نهضة (البارودي) وتجديده في الشعر، وعرفوا بالمحافظين لأنهم استطاعوا أن يحافظوا على الصياغة وعلى الشكل الهيكلي للقصيدة العربية كما هي في عصور ازدهار الشعر العربي.

كان بروز (شوقي) في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين اعظم حدث شعري في الشرق العربي، إذ عمل على ترسيخ حركة النهضة الشعرية ووثق الصلة بين الشعر العربي الحديث وجذوره الأولى، وبذلك يكون قد اعاد للشعر العربي ما فقده من قوة التوهج والحيوية، وهما أهم صفات الشعر القديم. وبهذا الدور يكون (شوقي) امتداداً (للبارودي). واستطاع ايضاً إن يبث في شعره الروح العربية الحديثة، فهو لم يكن مقلداً للشعراء القدامى، بل كان قريباً من روحهم في إيقاعاته واندفاعه العاطفي، وبالوقت نفسه يتطلع إلى الروح العربية الحديثة، وعلى هذا النحو كوّن (شوقي) لنفسه أسلوبا اصيلاً، لايتحرر من القديم، ولكنه في الوقت نفسه يعبر

عـن الشـاعر وعصـره ووصـف المخترعـات، وهـو اسـلوب يقـوم علـى الجزالـة والرصانة، وتمكن من الصنعة، وقد اعترف بذلك اشد ناقديه.

رحلة الحياة وروافد الثقافة :

في القصر : ولد احمد شوقي في قصر الخديوي إسماعيل ، حيث الجاه والغنى والتطلع ، بعيداً عما كابده كثير من شعراء جيله كالرصافي وحافظ إبراهيم .

وقد توجه في سن مبكر إلى المدارس الخاصة بعد أن ضاق بالكتاب التي كانت تعنى بالدراسة الدينية ، ثم التحق بعد أن انهي دراسته الأولية بمدرسة الحقوق ، وينهي دراسته فيها بقسم الترجمة ، وفي هذه الفترة تفتحت شاعريته لتكون في خدمة ولي نعمته توفيق ، الذي عينه موظفا في القصر ، وقد اتاح له ذلك اكمال دراسته في فرنسا ، التي غذت ملكاته الفطرية ، إذ وقفته على مظاهر الحياة الغربية ، إذ ملأت عينه بمفاتنها المختلفة ، كما ملأت نفسه ما فيها من ثقافات واطلعته على العديد من الفنون والآداب وعلى الخصوص المسرح والشعر على لسان الحيوان .

وحين عاد الشاعر إلى مصر كا ن (عباس) قد خلف والده (توفيقا) بعد موته فاصطفاه الشاعر وليا لنعمته ، وقام على خدمته رئيسا لقسم الترجمة في القصر ، وكا ن حريا به أن يخلص له ويدافع عنه ويخاصم خصومه ، وقد دفعه ولاؤه لآل إسماعيل إلى مهاجمة الشعب ممثلا بزعيمه احمد عرابي حين عاد من منفاه ، فاستقبله بهجائه يقول فيها :

صغار في الذهاب وفي الإياب أهذا كل شانك يا عرابي .

ولم تكن هذه الحياة المُترفة هي الوحيدة التي يستظل بها شوقي والتي عبر عنها بقوله :

رمضان ولى هاتها يا ساقي مشتاقةٌ تسعى الى مشتاق

وبقوله يصف الخمرة :

حف كأسها الحببُ فهي فضة ذهب

فشوقي الذي عبر عن حبه وعن خمرته في الأبيات السابقة ، هو الذي نظم همزيته الشهيرة في الرسول محمد صلوات الله عليه ، معارضا البوصيري بقوله :

وُلِدَ الهُدى فَالكائِناتُ ضِياءُ * وَفَمُ الزَمانِ تَبَسُّمٌ وَثَناءُ**

الروحُ وَالمَلَأُ المَلائِكُ حَولَهُ * لِلدينِ وَالدُنيا بِهِ بُشَراءُ**

وَالعَرشُ يَزهو وَالحَظيرَةُ تَزدَهي * وَالمُنتَهى وَالسِدرَةُ العَصماءُ**

وَحَديقَةُ الفُرقانِ ضاحِكَةُ الرُبا * بِالتُرجُمانِ شَذِيَّةٌ غَنّاءُ**

عارض صاحب البردة بقوله :

ريم على القاع بين البان والعلم احل سفك دمي في الاشهر الحرم

الشاعر في هذه المرحلة ابتعد عن الشعب والوطن ، وقد صار الشعر الذي صور فيه حياة القصر وما كان يدور من بذخ ولهو وعبث ، لا يمكن إغفال ما في تلك القصائد من روعة فنية ، تمتلك الأصالة والروعة ، وتحتفظ بكل ما تحتفظ به القصيدة الجيدة من عناصر الخلود كقصيدة (النيل) و (توت عنخ امون) .

في المنفى ١٩١٥ – ١٩١٩

حين عزل الانكليز عباسا ، واحلوا مكانه (حسين كامل) كان شوقي في مقدمة الذين اطيح بهم ، فاختار الاندلس مكانا لنفيه ، ولكن ما ان حل بها حتى ضاق صدره ، وخفق فؤاده حنينا الى مصر، وربما شعر انه قد حيل بينه وبين عشه الذهبي ، وإذا كان النفي قد استبدل آمال شوقي بآلامه ، فأنه قد حقق للشعر ما أثراه موضوعاً وفناً وصدقاً ، فبعد أن كانت مقيدة في مرحلة القصر ، فك هذا القيد وأطلق شعر الشاعر من عقاله فقد مُنحت الحرية التي تمتع بها الشاعر قصيدته عمقا وصدقا ، فقد تحوَل شوقي في قصائده التاريخية إلى تاريخنا العربي الإسلامي ، يستنبطه ويستلهم منه المعاني والأفكار ويصور فيه عظمة العرب والمسلمين ، وما كان لهم من أمجاد وما تركوا من اثار .

وهكذا راح شوقي يبعث أنغامه الحزينة في قصائد الحنين والغربة ، أو يصف ربوع الأندلس ويُحيي آثارها ، وكأنما كانت فترة مكوثه في المنفى تمهيدا لانتمائه إلى الوطن وعودته إلى أحضان الشعب ، وكان للحرية التي منحتها إياه فترة المنفى الفضل في عطائه الفني ، فقد نظم في الأندلس منظومته المطولة (دول العرب وعظماء الإسلام) وهي أرجوزة تعليمية ، أرخ فيها تاريخ العرب ، حتى نهاية العصر الفاطمي ، كما كتب مسرحيته النثرية الوحيدة (أميرة الأندلس) .

ما بعد المنفى ١٩١٩ - ١٩٣٢ :

عاد شوقي من منفاه بالاندلس ، وعادت معه حريته التي فقدها في قصر توفيق وعباس ، وكان اول قصيدة قالها بحق وطنه ، بعنوان (ما بعد المنفى)

وتتوالى قصائده الموضوعية ، سياسية ، اجتماعية ، تربوية ، خُلقية ، حتى صارت اشبه بقصائد المناسبات .

وإذا كان موضوع القصائد قد سقط كثير منه في وهاد التقريرية والمباشرة ، إذ لا عمق فيه بسبب طبيعته الموضوعية ، إلا أن المبدأ الذي يقوم عليه موضوع تلك القصائد ينتمي الى واقعية صحيحة ، تتصل بحاجة الأمة ، وتلبي آمال الجمهور، وهكذا راح شوقي يدلي بدلوه مع دلاء حافظ والرصافي والجواهري ، وغيرهم ممن استمدوا موضوعاتهم من مشاكل الناس ، وحاجات الجمهور .

راح شوقي في فترة ما بعد المنفى يلهج بما تضمره الأمة ، ويحقق لها ما كانت تنتظره في ميدان الشعر ، وشوقي في قصائده الوطنية بعيد العمق ، واضح الاتجاه والبعاد ، دقيق النظر فيما يجري بأمته ، وحول أمته ، كان يلبي ما تضمره الأمة من مشاعر وأحاسيس ، وما تنادي به من أهداف وشعارات ، وما تحتاج إليه من طرد الغزاة وتوحيد الصفوف يقول :

ونحن في الشرق والفصحى بنور رحمٍ ونحن في الجرح ولآلام اخوان

بنو سورية اطرحوا الأماني والقوا عنكم الأحلام القوا

نصحت ونحن مختلفون دارا ولكن كلنا في الهم شرق

ويجمعنا اذا اختلفت بلاد بيان غير مختلف ونطق

وفي سنتيه الأخيرتين المت بشوقي الأمراض ، فتفرغ في أشهره الأخيرة إلى قراءة القران الكريم وكتب الحديث النبوي الشريف وكتب الغزالي والتاريخ ، حتى وافاه الاجل في الشهر العاشر من سنة ١٩٣٢.

<u>ميادين الشعر :</u>

مرت حياة شوقي بثلاث مراحل مختلفة ، تباينت معها ظروف حياته ، فمن أجواء القصر إلى حياة المنفى وأخيرا إلى صفوف الشعب .

وانعكست ظروف كل مرحلة في شعره انعكاسا يميزه مما قبله ، ويفصله عما بعده فشعر شوقي كان رهن ظروفه المختلفة التي أثرت في موضوعاته ومعانيه ولغته .

اختصت مرحلة القصر الطويلة بموضوعات معينة ، يعتمد في اغلبها على احتذاء القديم كالوصف والغزل وشعر الخمر .ومدح الخديويين ، كما تضمنت العديد من المدائح النبوية

ويبرز في هذه المرحلة ما يمكن أن يسمى بالشعر الوطني ، الذي يستمد مادته من تاريخ مصر القديم ، والذي يدل به على ما كان له حضارة عريقة كما يهدف إلى النزوع إلى التحرر ، والى استنهاض العزائم والهمم ، واستنفار المشاعر الوطنية ، قصدا إلى بث روح الاستقلال .

والشعر التاريخي الذي أولاه شوقي اهتماما خاصا في هذه المرحلة ، يضع صاحبه في موقع الريادة بالنسبة للشعر الوطني ، كما انه يجسد الحس التاريخي الذي تميز به دون غيره من شعراء جيله .وقد نظمه متاثرا بفكتور هيجو ، يهدف به إلى تأكيد النزعة الوطنية بقوله :

وأنا المحتفي بتاريخ مصر من يفي مجد قومه صان عرضا

تقف قصيدة (كبار الحوادث في وادي النيل) في طليعة شعره التاريخي ، وقد استعرض فيها تاريخ الحضارة المصرية منذ القديم حتى وصل إلى عهد الخديويين ، وهي أشبه بالملحمة الوطنية ، حتى عدها شوقي ضيف (ام ديوانه الاول

اما قصيدته الثانية(النيل) تمثل ذروة ديوانه الثاني وهي تعلو قصيدته الأولى ، لان شوقي اعتمد بناءها بالصور النابضة بالحركات والخطوط والألوان ،الصور الشعرية الناضجة .

القصيدة طويلة مؤلفة من مائة وثلاثة وأربعين بيتا ، يتحدث فيها عن تاريخ مصر الطويل منذ عهد الفراعنة ، ويقف على أهرام مصر وعظمتها وسموها وخلودها ، وقد ركز في قصيدته هذه على الأسطورة (عروس النيل) التي صارت فداء لنهر النيل العظيم على مدى الاجيال يفتتح القصيدة مخاطبا اياه بقوله :

من أي عهدٍ في القَرى تترقرق وبأي كفٍ في المدائن تغدق

ومن السماء نزلت ام فجرت من عليا الجنان جداولا تترقرق .

والواقع أن عظمة هذه القصيدة ، تأتي في اعتماد بنائها على الصور الجزئية التي ينمو يعظها من بعض في وحدة موضوعية متكاملة ، تكاد تشكل في مقاطعها وحدة عضوية إذ يأخذ بعضها بعناق بعض عبر أفكار مسلسلة يربطها خيط فكري متين .

والقصيدة تتشكل من محاور منسقة ، ولكن اجمل محاورها هو المحور الذي يرسم فيه شوقي صورة لاحتفال المصريين بنداء النيل ، حيث تتطوع في كل سنة اجمل بنات مصر لهذا النداء يقول الشاعر :

في كل عامٍ درةٍ تلقى بلا ثمنٌ اليك وحرةٌ لا تصدق

إن زوجوك بهي فهي عقيدة ومن العقائد ما يلب ويحمق

زفت إلى ملك الملوك يحثها دينٌ ويدفعها هوى وتشوق

ولربما حسدت عليك مكانها ترب تمسح بالعروس وتحدق .

القت اليك بنفسها ونفيسها واتتــك شيقــة حواها شيــق

خلعت عطيك حياءها وحياتها اعـز من هذين شــيءٍ ينفق

وفي سنة ١٩١٥ يصل شوقي إلى ارض الأندلس منفيا عن بلده ، هذا الحال الجديد قد زاد من إحساسه بالانتماء إلى الوطن .

وتقف معارضات شوقي في المنفى في مقدمة الموضوعات التي عالجها استجابة للعصر النفسي الذي عمق اثره في نفس الشاعر ، لشعوره بالغربة وحنينه الى ارض الوطن واستجابة للعنصر التاريخي الذي فرض نفسه على الشاعر في بيئته الجديدة .فهو يرى في نونية ابن زيدون مايجسد مشاعره الرقيقة في شوقه الى مصر:

لكن مصر وان غضت مقة عين من الخلد بالكافور تسقينا

على جانبها رفت تمائمنا وحول حافاتها قامت رواقيــا

إلى أن يقول :

ناب الحنين إليكم في خواطرنا عن الدلال عليكم في امانينا .

وفي سنة ١٩١٩ يعود احمد شوقي من منفاه إلى ارض الوطن ، وقد تعمق احساسه بحب الوطن ، إذ انشأ يقول في أول قصائد العودة التي سماها (بعد المنفى) :

ويا وطنــي لقيتــك بعد يــاسٍ كأنــي قد لقيتُ بك الشبابا

وكل مسافرٍ سيؤوب يومــا اذا رزق السلامــة والايابــا .

ويقول منشدا للحرية :

اليــوم نســود بوادينـــا ونعيــد محاســن ماضينا

ونشيــد العـــز بايدينـــا وطــن نفديــه ويفدينـــا

يقول متجاوزا الوقفة الوطنية داعيا الى وحدة العرب مرتفعا الى شعوره بالمسؤولية القومية:

رب جار تلفت مصر توليــه سؤال الكريم عن جيرانه

كان شعري في فرح الشرق وكان العزاء في احزانـــه

كلما ان بالعـراق جريـــح لمس الشرق جنبه في عمانه .

<u>محمد مهدي الجواهري</u>

ولد الشاعر عام ١٩٠٠ وتوفي عام ١٩٩٧م ، ولقب بشاعر العرب الأكبر، وكانت ولادته في مدينة النجف ، وكان ابوه عالماً من علماء النجف ، وأراد لابنه إن يكون عالماً دينياً والبسه لباس رجال الدين ، وهو في سن العاشرة .

وعائلة الجواهري هي إحدى عوائل النجف العريقة واكتسبت لقبها(الجواهري) نسبة إلى كتاب فقهي قديم ألفه احد أجداد الأسرة وهو الشيخ محمد حسن النجفي ، اسماه (جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام) وهو في ٤٤ مجلداً . ولقب بعدها بـ (صاحب الجواهر) ، ولقبت أسرته بـ (آل الجواهري) ومنه جاء لقب الجواهري ابتدأت ثقافته بقراءة القران الكريم وهو في سن مبكرة ثم درس على يد أساتذة كبار ليعلموه النحو والصرف والبلاغة والفقه ، وكان في كل يوم يحفظ خطبة من كتاب نهج البلاغة وقصيدة من ديوان المتنبي .

نظم الشعر في سن مبكرة واظهر رغبة في الأدب وصار يقرأ الكتب والدواوين الشعرية ، ومنها كتاب البيان والتبيين ومقدمة ابن خلدون ، واشترك في ثورة العشرين ضد الاحتلال البريطاني ، صدر له ديوان (بين الشعور والعاطفة) عام ١٩٢٨، قد سبقها مجموعة شعرية عام ١٩٢٤، وعنوانها (خواطر الشعر في الحب والوطن والمديح) ،ثم اشتغل مدة قصيرة في بلاط الملك فيصل الأول عندما توج ملكاً على العراق .

لا يزال يرتدي الجبة والعمامة ثم ترك هذا العمل وترك هذا الزي وراح يعمل في الصحافة في بغداد ، واصدر مجموعة من الصحف منها جريدة (العراق) ،

وجريدة (الانقلاب) ، وجريدة (الرأي العام) ، وانتخب عدة مرات رئيسا لاتحاد الأدباء العراقيين سنة ١٩٣٠، اصدر جريدة الفرات ثم ألغت الحكومة امتيازها فبقى بدون عمل ، عين معلماً في اوآخر سنة ١٩٣١ ، في مدرسة المأمونية في بغداد ثم نقل إلى وزارة المعارف رئيسا لديوان التحرير ، ثم نقل إلى ثانوية البصرة ثم نقل إلى إحدى مدارس الحلة اوآخر عام ١٩٣٦ ، وبعد انقلاب بكر صدقي اصدر جريدة اسماها (الانقلاب) ، إلا انه سرعان ما صار رافضا للوضع السياسي القائم فحكم عليه بالسجن ، ثلاثة أشهر وإيقاف الجريدة عن الصدور . ثم غير اسم جريدته إلى (الرأي العام) إلا أنها عطلت أكثر من مرة بسبب مواقفها السياسية ومقالاتها النقدية .

بعد حركة مايس ١٩٤١ غادر العراق إلى إيران ثم عاد في العام نفسه وواصل إصدار جريدته الرأي العام .

عام ١٩٤٨ انتخب عضوا في مجلس النواب لكنه استقال منه عام ١٩٤٨ احتجاجا على معاهدة بورتسموث مع بريطانيا واستنكارا للقمع الدموي للمظاهرات الشعبية ، التي اندلعت ضد المعاهدة . وفيها استشهد أخيه جعفر فرثاه بقصيدتين خالدتين (أخي جعفر) و(يوم الشهيد) اللتان تعدان من قمم الشعر التحريضي . في عام ١٩٥٦ شارك في تأبين العقيد عدنان المالكي في دمشق وألقى قصيدته المشهورة والتي كان مطلعها :

خلفت خاشية الخنوع ورائي وجئت اقبس جمرة الشهداء.

وعلى أثرها منح اللجوء السياسي في سوريا ، ثم عاد إلى العراق عام ١٩٥٧ ، حال عودته استدعي إلى مديرية التحقيقات ووجهت له تهمة المشاركة للتخطيط بقلب النظام الحاكم في العراق فرد عليهم مستهزءً :

" ولماذا اشترك مع الآخرين وأنا استطيع قلب النظام بلساني وشعري".

كان من المؤيدين المتحمسين لثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ بقيادة الجمهور ولقب بشاعر الجمهورية ، وكان في السنتين الأوليتين من عمر الجمهورية من المقربين لرئيس الوزراء عبد الكريم قاسم ، لكن العلاقة توترت وانقطعت فيما بعد ، وواجه الجواهري مضايقات مختلفة ثم غادر العراق عام ١٩٦١الى لبنان ، ثم سافر واستقر في براغ سبع سنوات ، وصدر له عام ١٩٦٥ ديوان جديد هو(بريد الغربة) ... وفي نهاية عام ١٩٦٨ عاد إلى العراق بدعوة رسمية من الحكومة العراقية التي أعادت له الجنسية العراقية وخصصت له راتباً شهرياً قدره (١٥٠) دينار شهريا .

شاعر العرب الأكبر : وهو لقب استحقه بجدارة وارتضاء العرب له أينما كا ن . ثم أن الساحة الشعرية العربية مليئة بالشعراء الكبار في عصره . وقال عنه سعيد فالح الحجية " إن الجواهري لهو متنبي العصر الحديث لتشابه أسلوبه بأسلوبه وقوة قصيدته ومتانة شعره ". وقيل " لم يأت بعد المتنبي شاعراً كالجواهري "

شعره :

إن شعر الجواهري في أسوأ حالاته ، يبدو مفتعلا ، طويل النفس ، يصعب على الفهم لان الشاعر يستخدم كلمات قديمة غير مألوفة ، وتراكيب معقدة ، أما في أحسن حالاته فهو شعر يتصل بنبرة متوهجة متميزة ومتفجرة أحيانا كثيرة ، وفي أحسن قصائده ينطلق القارئ ولا سيما السامع ، على موجة من الانفعال ، وعلى الرغم من إن الجواهري متشرب بالتراث القديم إلا انه افلح في أغناء شعره بميزات شعرية تخصه دون غيره ، فهو شديد الشبه بالقديم من حيث الشكل واللغة الشعرية وقوة الحبك ، لكنه فريد لا يذكر المرء بأي شاعر قديم :

أطبق دجى أطبق ضباب أطبق جهاماً يا سحاب

اطبق دخان من الضميـــــر محـــــــرقا اطبق عذاب

اطبق دمار على حمـــــــــاة دمـــــارهم اطبق تباب

لم يعرفوا لون السمـــــــــاء لفــرط ما انحنت الرقاب

ففي هذه القصيدة يكشف الجواهري عن أسلوب شديد التفرد ذي قيمة شعرية عالية ، وما من شاعر عربي استطاع بلوغ مثل هذه الذرى الكلاسيكية البليغة إلا الشاعر السوري بدوي الجبل .

لقد عد الجواهري من عيون الشعر العربي الحديث ومن أجمل القصائد العمودية التي قيلت بحق الإمام الحسين "عليه السلام" . وقد كتبت بماء الذهب في مرقده الشريف :

فِداءً لمثواكَ من مضجَعٍ تنــوَرَ بالأبــلــجِ الأروعِ

بأعبقَ من نَفحاتِ الجنانِ رُوْحاً ومن مِسكِها اضوَعِ

كأنَ يَداً من وراءِ الضَريحِ حمراءَ مبتـُورةَ الاصبــَع

تَمدُ إلى عالــمٍ بالخنــوعِ والـضَيمِ ذي شــرقٍ مُتــرَعِ

تَخبَطَ في غــايــةٍ اطبَقتْ على مذئبٍ منه او مُسْبــعِ

وفي قصيدة (يا دجلة الخير) التي قالها في الحنين للوطن والاشتياق اليه :

حَيِيتُ سفحَكِ عن بُعدٍ فحيِيني يا دجلةَ الخيرِ يا امَ البساتيــنِ

حَيِيتُ سفحَك ظمآناً الوذ به لوذَ الحمائمِ بين الماءِ والطينِ

إني وردتُ عيونَ الماء صافيةً نبعاً فنبعاً فما كانت لترويــني

وانت يا قارباً تلوي الرياحُ بــهِ ليَ النسائمِ اطرافَ الافانيــنِ .

وله قصيدة عنوانها يوم الشهيد :

يومَ الشَهيد: تحيــةٌ وســلامُ بــك والنضالِ تـؤرَخُ الأعوام

بك والضحايا الغُـرِ يزهو شامخاً علمُ الحساب ، وتفخر الارقام

بك والذي ضمَ الثَرى من طيبهم تتعطـرُ الارَضَـونَ والأيــام.

وفي الغزل له قصيدة جربيني :

جربيني من قبل أن تزدريني واذا ما ذممتني فاهجريــني

ويقينا ستندميــن على انــك مــن قبــل لــم تعـرفينـــي

لا تقيسي على ملامح وجهي وتقاطيعه جميع شؤونـــي

أنا لي في الحياة طبع رقيــق يتنافى ولون وجهي الحزين

أمـا الشـعر السياسـي كـان كثيـرا فـي ديوانـه بـل أن حياتـه كلهـا سياسـة وشـعره كالاعصار الذي لا يهدأ على أهل السياسة يقول في قصيدته هاشم الوتري :

أنا حتفهُم ألــجُ البيوتَ عليكم أُغري الوليدَ بشتمهم والحاجبا

كَذِبوا فملءُ فمِ الزمان قصائدي أبداً تجــوبُ مشارقــاً ومغاربــا

والجواهري سيد شعر المناسبات ، وقد برهن أن قصيدة المناسبة يمكن أن توجه نحو تجربة خارجية وتحتفظ على الرغم من ذلك بقيمتها الشعرية ، كما أن استيعابه الروح الجماعية عميق إلى درجة انعدام الخط الفاصل بين عذابه الشخصي وفرحه وبين عذاب الجمهور وفرحه ففي قصيدة (أخي جعفر) يصرخ الجواهري بوجه الطغاة :

أتعلــم أم أنت لا تعــلــــم ؟ بــان جراح الضحايا فــم

فــم ليس كالمــدعي قولــة وليس كاخــر يسترحـــم

يصيح على المدقعين الجياع أريقــوا دماءكــم تطعموا

أتعلــم دمـــاء الشهيـــد تظل عــن الثار تستفهــم

وكثيرا ما يدعو فيها الى حرية المراة وتعليمها ودورها المهم في المجتمع :

علموها فقد كفاكُــمْ شـَنــاراً وكفاها أن تحسَبَ العلمَ عــاراً

وكفانــا في التَقهقُــر أنَـــا لم نعالج حتى الأمورَ الصغارا

تحكم البرلمان من امم الدني نســاءٌ تمثـــلُ الاقطـــارا

ونساء العراق تُمنع أن تر سمَ خطــاً أو تقــرأ الأسفــارا.